تسع قصائد

منصف الوهايبي

١ ـ القابلة

اللّغةُ البيضاءْ
تولّدتْ في يدها الأشياءُ والأسماءْ
تولَّدَ الرَّبّ
والشّجَرُ النّاهضُ في الأغوارِ،
والحشْرةُ والمياهُ..
تولَّدَ الإنسان ذو النَّجديْنْ
والمطر الصّاعد في حرائق اليديْنْ
اللّغةُ البيضاءْ
قابلة التاريخ والأشياءْ
لو هَيّأتْ إذنْ لهذا الطّفلِ،
في أعماقها قِمَاطَةْ
أو هيّأتْ ضريحَهُ
إذا استراحَ في غَدِ
ولفَّ روحه العراءُ الأبدي.

٢ ـ ابن غلبون القيرواني*

بين المجذوبينَ،
سأجلس منفرداً
أو بينَ المجذومِينَ،
وأربُطُ في عُنُقِي جَرَساً..
فاغْنَمْ ما شئتَ وَدَعْنِي
فَبَلائِي في قلبي
لا بُرْءَ لَهُ أبَداً..

٣ ـ ضيف (١)

هَيأْتُ مائدتي،
ولم يأتِ الذينَ ازَّيَّنُوا للعيدِ،
لَمْ يأتِ الذين أحبّهمْ،
وأنا ملأتُ جِرَارَ خمري
وانتظرتُ!
فَجَلَسْتُ وَحْدِي
في الظَّلامِ وكنتُ ضيفي.
كانَ يشرَبُ من يَدِي
ويقول: سبحانَ الذي أسره
بهذا الطّفلِ من وَهْمٍ إلىَ وَهْمِ!

٤ ـ ضيف (٢)

نَفَدَتْ جِرَارُ الخَمْرِ
يا ضيفي!
ولم يأت الذينَ اِزَّيَّنُوا للعيدِ،
لَمْ يأتِ الذينَ تحبّهمْ!
أَنْصِتْ، فصوتي خمرةٌ،
وَيَدَايَ غُصْنَا كَرْمَةٍ..
أَنْصِتْ فَتَسْمَعَنِي
أَدَقُّ الأرْضَ من فَرَحٍ
وأَرشُو بالكلامِ غيابَهُمْ!
(مَاذا عَلَيْهِمْ لَوْ أَتَوْا؟)
وأدورُ حَوْلِي
فَلْيَمُرَّ السَّابِلَهْ
وَلْيَحْصِبُوا الشّبَّاكَ وَلْيَتَضاحَكُوا
سَأَظَلُّ مُدَّرِغاً جنوني
ـ فَلْيَكُنْ ـ وهتيكَتِي
فأنَا العَمِيُّ عن السَّبيلِ!
فَاضَتْ جِرَارُ الخَمْرِ يا ضيفي
ونَجْمُ الصُّبحِ آذَنْ بالرَّحِيلِ..

٥ ـ أتبع الغَاوِينَ

كُنْتُ من حانٍ إلَى حَانٍ
أَقولُ انبسطِي أيّتُها الأرْضُ لَهُمْ
وَلْيَذْعْ مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ لديهِمْ
فَهُمُ الأَهْلُ،
إذا استوحَشتِ الروحُ وَرَنَّتْ

* ابن غلبون القيرواني أمير أغلبي تصوّف وهاجر إلى الحجاز (رياض النّفوس للمالكي).

مَلَؤوا وِحْشَتَهَا
أو رَتَقُوا مَا رَثَّ منها.
أتبع الغَاوِينَ مأخُوذَاً
بأنَّ الأرْضَ ما زالَتْ على فِتْنَتِهَا
والنَّاس ما زالوا على طيبتِهِمْ،
حتَّى إذا ما الْتَمَعَتْ أعينهمْ
أو لاَمَسَتْ أنْجُمُهُمْ
في آخِرِ اللّيل مَدَارِي،
تبعوني
فتنكَّبتُ بهمْ ليلِ الغواياتِ،
فَمِنْ غيٍّ إلى غيٍّ،
ومِنْ ذَنْبٍ إلى ذَنْبِ...

٦ ـ سراييڤو (يوغسلافيا)

حينَ غادر فُنْدُقَهُ
في سراييڤو ذاتَ صَبَاحٍ خَرِيفْ
لَمْ تُلَوِّحْ لَهُ إمرأةٌ أو صَدِيقْ
لَمْ يُلَوِّحْ لَهُ عابِرٌ في الطَّرِيقْ
كَانَ يَسْلُكُ والنَّهْرَ
تحت الرَّذَاذِ الخَفِيفْ..
(هَلْ سَيَذْكُرُ تِلْكَ الصَّبيَّةَ تُشْرِعُ)
تحت الرَّذَاذِ مظلّتَهَا
وتنادِيهِ أن يحتمِي معها؟
هَـلْ سيذكُـرُ تلْكَ المسَاجِـدَ.. تِلْكَ
المنازِلَ..
تِلْكَ القُرَى الهَارِباتِ وَرَاءَ التِّلاَلْ؟
لَمْ يلوِّحْ علهْ أَحَدٌ
غير سَرْوِ الجبالْ
بمـنـادِيلِهِ الخُضْرِ خَـافِـقَـةً فِي رَذَاذِ
الخَرِيفْ!

٧ ـ دمية

في تَحْتِ أمّي
دُمْيَةٌ مخلوعَةُ الأعضاءْ!
خُـذْهَا مُضَمَّخَـةً بريـج العَـودِ
والكافُورْ
وَرُدَّ لَها
ذراعيها وساقيها وضحكتها
عسى أن يَسْتَوِي زمنٌ قديمٌ في يَدَيْكَ
وَقُلْ:
للبئرِ في البستانِ أن تَدْعُو صغيرتَنَا
لأجنحَةِ السُّنونو أن تَبُلَّ طفولتي
بالماءْ!

٨ ـ وديعة

يا ثَمْرَةً علّقتُ في غُصْنِ الطّفولَةْ
لَمْ يَبْقَ غير الغصنِ مُنْجَبِرةً!
يَا ثَمْرَةً أُولَى!
خريفُك في رمادِ الصَّيفِ غَاضَ
ولم يَلِنْ غَيْمٌ وَلاَ ريحٌ،
وهذا الطِّفْلُ ما اسْتَوْفَى وَدِيعَتَهُ!
وَاثَمْرَةً سَوْدَاءَ في طينِ الطّفولَةْ!

٩ ـ القبر

إنَّها الأرْضُ
لَمَّا نَزَلْ في ضيافَتِهَا
وهي تُزْجِي العَطَايَا
وَتُولِي الجَمِيلْ
إنَّها الأرْضُ
لَمَّا نَزَلْ في رَحَابَتِهَا..
فإذا أزِفَ الموتُ
قُلْنَا استَرِدِّي إذنْ مَا بِذِمَّتِنَا
قَدْ رَضِينا بما يتبقَّى لَنَا
قَدْ رَضِينَا بِهَاذَا القَلِيلْ!

(تونس)